الفصل الأول

فكرة الجمهورية فى مصر وتطورها حتى قيام الثورة العرابية

لم تظهر فكرة الجمهورية فى مصر فجأة بعد ثورة ٢٣ يوليو ، ولم تولد من فراغ يوم أعلنت فى ١٨ يونية ١٩٥٣ ، فلهذه الفكرة جذور تاريخية سابقة فى الفكر المصرى الحديث .

لقد بدأت مصر حياتها فى العصر الحديث تابعة للدولة العثمانية يحكمها وال من قبل السلطان ، ولما ضعف نفوذ الدولة العثمانية فى القرن الثامن عشر استبد بأمورها بكوات المماليك مع بقاء السيادة العثمانية[1] .

واستمرت الأحوال على ذلك حتى جاءت الحملة الفرنسية الى مصر فسمع المصريون منها عن بعض ملامح النظام الجمهورى ، فعرفت كلمة جمهورية فى مصر لأول مرة حين بدأ الجيش الفرنسى يوزع منشوراته[2] التى وصفت بأنها صادرة عن الجمهورية الفرنسية فأصبحت كلمة République التى تعنى جمهورية معروفة ومتداولة منذ ذلك

---

(١) لم يخلو الأمر للمماليك طوال الوقت فقد نازعهم فى السلطة بعض العربان وخصوصا قبيلة الهوارة التى اقام زعيمها همام بن يوسف دولة يرى البعض أن نظامها كان قريبا من النظام الجمهورى .

انظر : د. لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث — الخلفية التاريخية القاهرة — كتاب الهلال العدد ٢١٥ ، ج ١ — الطبعة الثالثة ص ١١

(٢) من هذه المنشورات منشور نابليون الذى أعلن انه صادر من الجمهورية الفرنسية وشعاره : الحرية والاخاء والمساواة .

الوقت[٣] .

وقد ظهرت كلمة الجمهور بمدلولها السياسى فى الكتب العربية لأول مرة فى كتابات عبد الرحمن الجبرتى فى أثناء حديثه عن الزعامة الشعبية وأثرها فى تولية محمد على[٤] . فبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر حدث تنازع على السلطة وظهر على مسرح الحياة السياسية تدريجيا قوة جديدة تتمثل فى الشعب المصرى ، وقد أخذت هذه القوة تأخذ مكانها على مسرح الأحداث السياسية خلال سنوات الحملة ، فتقرب محمد على الى زعمائها الذين اتفقت كلمتهم على عزل خورشيد باشا الوالى المعين من قبل السلطان وتولية محمد على مكانه بشروطهم فقابلوه وقالوا له « لقد اخترناك برأى الجميع والعبرة برضا أهل البلاد » وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن يسير بالعدل ، وألا يبرم أمرا الا بمشورتهم فقبل محمد على ولاية الحكم على شروطهم ونهض السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى . فألبساه خلعه الولاية[٥] وبذلك تمت مبايعة زعماء الشعب لمحمد على ، وقد أمر الزعماء بأن ينادى بذلك فى أنحاء القاهرة .

ويعتبر تولى محمد على بارادة الشعب تطورا هاما وخطيرا فى نظام الحكم فى مصر فى العصر الحديث فقد تجلت فيه سلطة الأمة ممثلة

---

(٣) مؤتمر مجمع اللغة العربية — الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ — ١٩٦٠ « مجموعة البحوث والمحاضرات » بحث مقدم من الأستاذ محمد شفيق غربال تحت عنوان : « المصطلحات السياسية فى اللغة العربية » ص ١٩٥

(٤) انظر : عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار الجزء الثالث . القاهرة . المطبعة الاميرية ص ٣٣٠ ، حيث يقول على سبيل المثال : « ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا » و « قيام هذا الجمهور » .

(٥) نفسه ج ٣ : المطبعة العامرة ١٣٢٢ هـ ، ص ٣٥٠

فى أشخاص زعمائها وذوى الرأى فيها فى خلع الوالى المعين من قبل السلطان العثمانى واسناد الأمر الى وال جديد ارتضاه زعماء الشعب لكى يكون حاكما على مصر ، وكان ذلك الحدث هو الأول من نوعه فى تاريخ مصر الحديث •

ويمتاز هذا التطور فى نظام الحكم بأنه لم يكن مقصورا على انتخاب زعماء الشعب لولى الأمر بل كان باشتراطهم أن يرجع اليهم فى أمور الدولة فوضعوا بذلك قاعدة الحكم الدستورى فى البلاد(٦) •

وهناك ظاهرة خطيرة فى ذلك التطور فعندما رفض الوالى المخلوع النزول من القلعة اجتمع حوالى أربعين ألف نفس من الجمهور بدار المحكمة وهى ساحة القضاء للمطالبة بنزوله أو محاربته(٧) بمعنى أن الشعب تمسك بحقه عن طريق الاحتكام الى العدالة ، وحرر نواب الشعب فى ذلك الاجتماع محضرا بعزل خورشيد وتولية محمد على مكانه(٨) •

وبما أن النظم السياسية الحديثة ترى أن من سمات النظام الجمهورى أن يتم اختيار رئيس الدولة بالانتخاب لا بالوراثة(٩) وأن يكون ذلك عن طريق الشعب أو ممثليه فانه يمكن القول بأن الطريقة التى اختار بها زعماء الشعب محمد على واليا على مصر تحمل فى ثناياها ملامح من النظام الجمهورى •

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، جـ ٢ ، ١٩٢٩ ، ص ٣٧١

(٧) الجبرتى : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٥١

(٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٧١

(٩) د. ثروت بدوى : النظم السياسية . الكتاب الأول — تطور الفكر السياسى والنظرية العامة للنظم السياسية . القاهرة — دار النهضة العربية . الطبعة الأولى ١٩٦١ ، ص ٣٠١

وعلى كل حال فقد اندثرت هذه الفكرة قبل أن تنمو بذورها ، فقد قضى محمد على على الزعامة الشعبية وأبعدها عن الميدان ، وظل الأمر كذلك ، ولم يهتم الولاة من أسرة محمد على بتأييد الشعب المصرى الا حين تتأزم الأمور مع الباب العالى أو الدول الكبرى(١٠) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو لماذا فضل زعماء الشعب محمد على حاكما على مصر ، ولم يفكروا فى اختيار أحد منهم لتولى هـذا المنصب ؟

الواقع ان زعماء الشعب كانوا يعتبرون الأتراك رمزا للسلطة ، وكانوا لا يرغبون الدخول فى متاهات الحكم الذى يرون فيه مجرد أساليب للدسائس ، وهم كرجال للدين لا يفضلون دخول المعترك السياسى وخصوصا وأنهم بعيدون عن السلطة ولا يعرفون كيف يحكمون بل كانوا يعتبرون أنفسهم رمزا للوساطة بين الشعب والحكومة فقط وأن دورهم دينى يتمثل فى نصح الحاكم لا مشاركته فى الحكم لذلك لما اتيحت لهم فرصة اختيار أحدهم لتولى شئون الحكم فى مصر رفضوا وابتعدوا مع أنهم كانوا قادرين على الوصول الى السلطة ، ومما يؤكد ذلك أن محمد على قبل الحكم بشروطهم وأن اختياره كان عن طريقهم .

ونتيجة لاتصال مصر بأوربا فى عصر محمد على وخلفائه انتقل الكثير من الأفكار السياسية الحديثة التى توضح العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وقد تصدى رفاعة الطهطاوى للحديث عن أنواع الحكومات فكان أول من كتب باللغة العربية فى العصر الحديث عن أنواع الحكومات فى الدولة الحديثة(١١) فقد ميز بين النظام الملكى والنظام الجمهورى

---

(١٠) د. محمد مصطفى صفوت : الجمهورية الحديثة ، الاسكندرية ـ منشأة المعارف الطبعة الأولى ١٩٥٨ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(١١) د. محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ، ص ٤١

تمييزا أساسيا وأوضح الفرق بينهما فى أثناء مناقشته لأحداث فرنسا عام ١٨٣٠ فقال عن الملكيين انهم « أتباع الملك القائلون بأنه ينبغى تسليم الأمر له من غير أن يعارض فيه أحد من الرعية بشىء » وقد قسم هؤلاء الى قسمين قسم يرغب فى الملكية المطلقة وآخر يريد الملكية المقيدة أما عن الجمهوريين فقال عنهم « انهم طائفة عظيمة تريد أن يكون الحكم بالكلية للرعية ، ولا حاجة الى ملك أصلا ، ولما كانت الرعية لا تصلح أن تكون حاكمة ومحكومة وجب أن توكل عنها من تختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية »[١٣] .

وبذلك حدد رفاعة أركان الجمهورية ، وهى أن يكون الحكم للشعب وبالشعب ، وبذلك تصبح الأمة مصدر السلطات كما يذكر حاليا فى الدساتير الحديثة ، وأن يكون للدولة رئيس يختاره الشعب لكى يمثله فى حكم البلاد[١٣] كما قسم رفاعة الحكومات الى أربعة أقسام ديمقراطية وارستقراطية ومونارخية ومختلطة وشرح ذلك بقوله بأن « الحكم اذا كان صادرا من غير واسطة على الملة المحكومة فالحكومة ديمقراطية يعنى جمهورية أهلية واذا كان الحكم صادرا عن عدة أحكام فى الملة مستخرجين من أكابرها وصدورها فالحكومة ارستقراطية أى صادرة عن اشراف البلاد وكبرائها وهى أيضا نوع من الجمهورية • واذا كان الحكم فى يد واحد فقط فهى مونارخية[١٤] أى واحدة الحاكم ملوكية كانت أو سلطانية وحكم الملك أو السلطان أما أن يكون مقيدا أو مطلق

---

(١٢) رفاعة رافع الطهطاوى : تخليص الابريز فى تلخيص باريز . القاهرة — وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ص ٢٥٢ .

(١٣) د. لويس عوض : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٢

(١٤) المونارخية Monarchie مأخوذة من الكلمتين اليونانيتين Monos بمعنى وحيد Archein بمعنى حكم .
د. محمود فهمى حجازى : المرجع السابق . ص ٤٦

التصرف »[١٥] .

ولا تعنى كلمة الجمهورية فى حديث رفاعة مضمونها الحالى فالجمهورية أو النظام الجمهورى بالمعنى الذى عرفته أوربا فى عصر الطهطاوى كان يعنى أن السيادة فى الدولة للامة أو لجزء منها وعلى ذلك تضم الجمهورية الشكل الديمقراطى أو الشكل الارستقراطى من أشكال الحكومات بمعنى أن تكون الأمة مصدر السلطات كما هو فى الشكل الديمقراطى أو أن تكون السيادة لجزء من الأمة كما هو فى الحكومة الارستقراطية[١٦] .

وبعد رفاعة تابع المفكرون والكتاب الحديث عن الحكومات والحرية والاستبداد ، فجمال الدين الأفغانى حاول هدم نظرية حق الملوك فى السيطرة على الشعوب بقوله « الملوك يعتقدون أنه لا قوام للرعية بدون وجودهم وأنه لا غنى لها عنهم اذ هم يحفظون أموالهم ويحقنون دماءهم ويوفون لكل ذى حق حقه وينقصون للمظلوم من الظالم ويحرسون الثغور لدفع ضرر المهاجمين فيرون أن لهم بذلك حق التصرف فى أموال الرعية ودمائها ، وأنه يجب عليها طاعتهم والخضوع لسطوتهم وسلطتهم وامتثال أوامرهم واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها »[١٧] . وقد هاجم جمال الدين الأفغانى نظام الحكم فى مصر وعز عليه أن تكون مصر محكومة بمثل هؤلاء الحكام الذين يذلون أبناءها فاقترح على الشيخ محمد عبده قتل الخديو اسماعيل ، وقد أوضح الشيخ محمد عبده ذلك بقوله « كان الشيخ جمال الدين موافقا على الخلع فاقترح

---

(١٥) الوقائع المصرية : العدد ٦٢٣ فى غرة ربيع آخر سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٢ م تحت عنوان تمهيد .

(١٦) د. محمود فهمى حجازى : المرجع السابق ، ص ٤٦ — ٤٧

(١٧) مصر : فى ١٥ نوفمبر ١٨٧٨ محاضرة للسيد جمال الدين الأفغانى تحت عنوان : « العلة الحقيقية لسعادة الانسان » .

على أنا أن أقتل اسماعيل ، وكان يمر بمركبته كل يوم على جسر قصر النيل ولكن كل هذا كان كلاما نتهامسه فيما بيننا وكنت أنا موافقا كل الموافقة على قتل اسماعيل ، ولكن كان ينقصنا من يقودنا فى هـــذه الحركة »[١٨] كما قابل الأفغانى قنصل فرنسا بالاسكندرية وأوضح له رغبة الحزب الوطنى والحركة الماسونية فى تنازل الخديو اسماعيـــل عن الحكم وأنهم مستعدون للقيام بأعمال هامة اذا أصر الخديو على رفـــض التنازل عن الحكم[١٩] •

ويذكر سليم عنحورى أن الافغانى كان يريد احلال حكومة جمهورية فى مصر بعد عزل اسماعيل ويرغب فى رئاستها[٢٠] •

ويذكر عرابى فى رسالة له الى بلنت Blunt أنه اقتـــرح تكوين عصبة لخلع اسماعيل ، ولكن لم يكن قد ظهر من يقود هذه الحركة، ولمـــا تم خلع اسماعيل بواسطة ضغط الدول الكبرى على الباب العـــالى زال عبء كبير ، ولكن لو كان الوطنيون هم الذين فعلوا ذلك لكانوا قد تخلصوا من أسرة محمد علىيأجمعها وأعلنوا الجمهورية[٢١] •

ويتحدث سليم النقاش عن الاستبداد وأثره فى تدهور الشـــعوب الشرقية فيقول « ان من آفات الشرق العظمى وطامته الكبرى استبداد ملوكه وتحامل قوية على ضعوكه »[٢٢] •

---

(18) Blunt: Secret History of the English occupation of Egypt P 484.

(١٩) مصر : العدد ٥٢ فى ٢٧ يونيو ١٨٧٩

(٢٠) سليم عنحورى : سحر هاروت . دمشق . المطبعة الحنفيـــة ، الطبعة الأولى ١٨٨٥

(21) Blunt : Op. cit. Appendix I, P. 484.

(٢٢) العصر الجديد فى ١١ مارس ١٨٨٦ •

وميخائيل عبد السيد يفرق بين أنواع الحكومات فيذكر أن هنـاك ثلاثة أنواع منها من يكون حاكمها مطلق التصرف ، ومنها من يكون حاكمها مقيدا بقوانين أما عن الحكومة الجمهورية فيذكر أن الحكم فيها يكون بيد أشخاص ينتخبهم الأهالى(٢٣) .

وقد حفلت كتـابات يعقوب صنوع بالهجـوم على الحـكومات الاستبدادية وخصوصا استبداد الخديو اسماعيل الذى لقبه بشـيخ الحارة الظالم(٢٤) كما قد حفلت كتاباته بالدعوة الى الجمهورية .

أما أديب اسحق فقد حمل ملوك الشرق أسباب ما تعانيه بلادهم من تدهور بقوله « ان استبداد ملوك الشرق واستئثارهم بالمنافع هو العلة الحقيقية فى سقوط دولهم واختلال مواردها وتلاشى أحوالها(٢٥) .

كما ذكر أنه رغم تهافت ولاة الشرق على الاستبداد فانهـم يتظاهرون بالحرية(٢٦) ثم أكد أن حل الأزمات التى يعانى منها الشرقيون تكمن فى القضاء على الاستبداد .

وبعد تنكر الخديو توفيق لوعوده التى كان قد صرح بها للافغانى وكمم الأفواه كتب أديب اسحق مقالا ذكر فيه أنه لا سبيل للقضاء على ما حدث الا بالثورة فقال « أما أن يبدد الشرق بأنوار الحرية ظلمـات الظلم ويقطع بسيوف العزم علائق الاستبداد ويهدم بأيدى العلم سجون

---

(٢٣) الوطن : فى ٧ سبتمبر ١٨٧٨

(٢٤) ابو نظارة : فى ١٧ اغسطس ١٨٧٨

(٢٥) مصر : فى ٣١ يوليه ١٨٧٩ تحت عنوان : (آثار الاسـتبداد فى الدول الشرقية عموما والدولة العثمانية خصوصا) .

(٢٦) مصر : فى ١٣ يونيـه ١٨٧٧ تحت عنوان (القـرن التاسع عشر) .

الاستعباد .. واما أن يستمر على حاله راضيا بوجود يشبه العدم »[٢٧].

أما الشيخ محمد عبده فقد تميز تأفكاره بالاعتدال ، والدعوة الى التدرج فى الاصلاح فرأى أن أفضل نظام للحكم هو الحكم الاستبدادى العادل ، وكان خير مثال عنده لذلك هو رياض باشا[٢٨] كما ذكر أن نظام الحكم الذى يصلح لبلد ما قد لا يصلح لبلد آخر ، وتأكيدا على ذلك أجرى مقارنة بين نظام الحكم الجمهورى فى الولايات المتحدة ونظام الحكم فى أفغانستان فقال « اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية فى أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة فى الانتخابات العمومية فى رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ، ونعرف مقدار السعادة التى نالها الأهالى فى تلك الحالة ، ونعلم أن هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين فى مصالحهم بأنفسهم لأنهم أرباب الانتخاب ، وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم فى حفظ تلك المصالح والحقوق التى رأوها لأنفسهم وتتشوق النفوس الحرة أن تكون على مثل هذه الحالة الجليلة »[٢٩] أما عن أحوال أفغانستان فقد قارن بينها وبين الأحوال فى الولايات المتحدة فقال « لكننا لا نستحسن أن تكون تلك الحالة بعينها لأفغانستان مثلا حال كونها على ما تعهد من الخشونة فانه لو فوض أمر المصالح الى الأهالى لرأيت كل شخص له مصلحة خاصة به لا يرى سواها ، فلا يمكن الاتفاق على نظام عام .. ولو وكل اليهم انتخاب رئيس الحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيسا منها ، ثم يقع الهرج بين الرؤساء »[٣٠] .

---

(٢٧) مصر : فى ٢٤ اكتوبر ١٨٧٩ تحت عنوان (مستقبل الشرق) .

(٢٨) د. عثمان أمين : رائد الفكر المصرى الامام محمد عبده . القاهرة — الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية ١٩٦٥ ، ص ٢٢١

(٢٩) الوقائع المصرية : العدد ١٠٧٩ فى ٥ جمادى الأولى ١٢٩٨ الموافق ٤ ابريل ١٨٨١ تحت عنوان : « خطأ العقلاء » .

(٣٠) نفسه .

وقد أوضح أن حال أفغانستان هو مثل حال الأمم التى تعودت أن يمسك زمامها ملك أو أمير يدير أعمالها دون أن يكون لها دخل فى رؤية مصالحها[٣١] كما طالب الشيخ محمد عبده بعدم التدخل فى أعمال النظارات وفى ادارة الأوقاف والأزهر[٣٢] •

وعلى كل حال فاننا نرى أنه بالرغم من أن زعماء الاصلاح فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لم يكن لديهم خطة واضحة لقيام حكم جمهورى فى مصر فان هجومهم على النظم المستبدة كان يعنى تفضيلهم للنظام الجمهورى •

ولما قامت الثورة العرابية حاولت الوصول الى غرضين وهما :

١ — تقييد سلطة الخديو •

٢ — استبعاد النفوذ الأجنبى •

فالمواجهة التى تمت بين عرابى والخديو فى ساحة عابدين دلت على الرغبة الملحة لدى جماهير الشعب المصرى للتخلص من الحكم الاستبدادى واقامة حكم وطنى يرعى مصالح الشعب ويحقق أمانيه ، ففى ساحة عابدين (ميدان الجمهورية الآن) واجه عرابى الخديو بمطالب الشعب فرد عليه الخديو بقوله أنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا فرد عليه عرابى « لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا فو الله الذى لا اله الا هو أننا سوف لا نورث بعد اليوم » وكان ضمن مطالب العرابيين فى عابدين اقامة مجلس للنواب بقصد تقييد سلطة الخديو •

---

(٣١) الوقائع المصرية — العدد السابق .

(٣٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٨٩٩

كما عارض العرابيون الكثير من القرارات التى أصدرها الخديو ، وكان من ضمن أفكارهم طرد الخديو وذريته ه نمصر[٣٣] ، ولكن هل يعنى هذا أن العرابيين فكروا فى اقامة نظام جمهورى محل النظـام الخديوى .

الواقع أنه قد دار نقاش بين العرابيين حول أنواع الحـكومات وأساليبها والأسلوب الملائم لحكم مصر ، وكان النظام الجمهورى هـو المفضل لدى معظمهم فكانوا « يحلمون برئيس للجمهورية ينتخبه مجلس شورى النواب أو على الأقل بتعيين مجلس للوصاية يرأسه البـارودى وعرابى ليتولى الحكم باسم الأمير عباس الابن القاصر لتوفيق »[٣٤] ولكن هذه الفكرة لم تلق تأييدا كافيا من العلماء والكثير من المسـلمين خشية فصل الدين عن الدولة ، وتصورهم أن معنى اقامة الجمهورية هو الانفصال عن الدولة العثمانية التى تعتبر من وجهة نظرهم رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا[٣٥] ويوضح ذلك ما ذكره محمود سامى البارودى فى اجتماع للعرابيين بمنزل حسن موسى العقاد « لقد كنا نرمى منـذ بداية حركتنا الى قلب مصر الى جمهورية مثل سويسرا ولكننا وجـدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم ، ومع ذلك فسنجتهد فى جعل مصر جمهورية قبل أن نموت »[٣٦] .

---

(33) F.O. 407/22 Inclosure in No. 589, Memorandum by Dervish Pasha.

(٣٤) د. احمـد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسـألة المصرية . القاهرة — دار المعارف ١٩٦٠ ، ص ٢٠٥

(٣٥) الخلافة كما حددها فقهاء المسلمين موضوعة لحراسـة الدين والدنيا بمعنى ان خليفة المسلمين هو المسئول الدينى والسياسى عنهم . المـاوردى : الاحكام السلطانية والولايات الدينية .

(36) Blunt : Op. cit. P. 344.

ولم يجد العرابيون أيضا تأييدا كافيا من النواب فى وجوب خلع الخديو فعندما اجتمع مجلس النواب فى منزل سلطان باشا ، وطالب عرابى بخلع الخديو[٣٧] وختم خطبته « من كان معنا فليقم واقفا ومن لم يوافق على عزل الخديو فليبق جالسا » حدثت ضجة كبيرة فى المكان ، ووقف الضباط ولكن معظم النواب لم يقفوا فتهددهم الميرالاى محمد عبيد بالسيف ، ومع ذلك ظلوا جالسين مما يوضح أن معظم النواب لم يوافقوا عرابى على خلع الخديو[٣٨] .

لقد خشى العرابيون مفاجأة الرأى العام بنظام لم يستعد له ، ومع ذلك فقد كانت هناك بوادر محاولات للتخلص من الخديو والأمثلة التالية توضح ذلك :

١ — فى أثناء الاستعدادات للقيام بمظاهرة عابدين يذكر « سليم النقاش » أنه حينما بلغ عبد العال حلمى حكمدار الآلاى السودانى خبر ذهاب الخديو الى القلعة كى يثنى حاميتها عن الاشتراك فى مظاهرة عابدين ، جمع عساكره ، وتوجه بهم اليها ودخلها ، ولما لم يجد الخديو تأسف ورجع بالآلاى قاصدا عابدين[٣٩] .

ان ما ذكره النقاش يضع علامة استفهام على تأسف عبد العال حلمى لعدم وجود الخديو بعد أن حاصر القلعة بجنوده .

٢ — تهديد عرابى بمحاصرة سراى الاسماعيلية المقيم به الخديو اذا لم يأمر برجوعه الى نظارة الجهادية[٤٠] .

---

(٣٧) سليم النقاش : مصر للمصريين ، ج ٧ ، ص ٦٢ . محضر استجواب عبد العال حلمى .

(٣٨) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٢٨٠

(٣٩) سليم النقاش : المرجع السابق ، الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٢٤

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠

٣ — محاولة العرابيين الحصول على موافقة مجلس النـــواب بعزل الخديو[٤١] .

٤ — قول بعض الزعماء « اعزلوا الخديو الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم »[٤٢] .

٥ — مطالبة عبد الله النديم خطيب الثورة بالتخلص من أسرة محمد على ، وبثه فكرة الجمهورية فى عقول الشباب[٤٣] .

٦ — عثر ضمن الأوراق التى ضبطت لدى عرابى على صيغة سؤال مضمونه استفتاء العلماء فى جواز عزل الخديو ونصه كالتالى :

ما القول فى حاكم مولى من طرف سلطان المسلمين على أن يعدل فى الناس ويقضى بأحكام الله فنقض العهد وأحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم ثم انتهى به الأمر الى أن اختار ولاية غير المؤمنين على ولاية المؤمنين وطلب من الأمم الخارجة عن الدين القويم أن ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومة الاسلامية ، وحمل رعاياه على أن يدينوا ويخضعوا لتلك القوة الأجنبية وبذل عنايته فى المدافعة عنها ، ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك أبى وامتنع وأصر على الخروج عن طاعة السلطان والمروق من الشريعة فهل يجوز شرعا أن يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الأجانب من السلطة الاسلامية أو يتعين فى هذه الحالة عزله واقامة بديل له يحافظ على الشرع ويدافع عنه[٤٤] .

---

(٤١) سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٩٢

(٤٢) احمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار . مخطوط . دار الكتب المصرية ، ص ٢٦٨

(43) Blunt : Op. cit. P. 347.

(٤٤) دار الوثائق : محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .

٧ — حدث فى اليوم التالى لضرب الاسكندرية أن أمر عرابى طلبة باشا بمحاصرة قصر الرمل الموجـود به الخديو بجنود من الفرسـان والمشاه[٤٥] بحيث يمنع دخول أحد اليه أو خروج أحد منه ثم القبض على الخديو ، وارساله الى القاهرة خشية التجائه الى الانجليز[٤٦] مما دفع الخديو الى ارسال وفد الى عرابى[٤٧] لمعرفة أسباب الحصار والمطالبة بانهائه ، ولم يوافق عرابى الا بعد الحاح الوفد عليه وتكرار الرجاء[٤٨] والحاح ياور درويش باشا .

٨ — ان دعوة عرابى الى عقد جمعية عمومية من كافـة طوائف الشعب ومنهم شيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين والمديرين وقضاة الأقاليم وأعيان التجار وكثير م نأعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد للنظر فى أحوال البلاد[٤٩] ومناقشة الموقف بعـد اتضاح موقف الخديو فى الانحياز للانجليـز وانعقاد هذه الجمعيـة واصدار قرارات بتوقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظارة الموجودين.

---

(٤٥) محافظ الثورة العرابية — محفظة رقم ١٩ ملف رقم ٩٦ شهادة سليمان اباظة امام قومسيون التحقيق بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٨٨٢ ، وانظر ايضا محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٩٩ استجواب البكباشى محمد منيب .

(٤٦) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ص ١٦٧

(٤٧) كان الوفد مكونا من سلطان باشا ، وحسن الشريعى وسليمان اباظة وياوران الخديو وياوران درويش باشا .

انظر : سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٧

(٤٨) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ١٩ ملف ٩٦ شـهادة سليمان اباظة باشا امام قومسيون التحقيق فى ١٣ اكتوبر ١٨٨٢

والجدير بالذكر ان سليمان اباظة هـذا كان ضمن اعضاء الوفـد الذى أرسله الخديو لعرابى لفك الحصار .

(٤٩) محافظ الثـورة العرابية — محفظة رقم ٨ ملـف ٢١٢ محضر استجواب احمد عرابى .

معه وخلع طاعته وترتيب مجلس ادارى للنظر فى ادارة شئون البلاد[٥٠] ان دعوته تلك تعتبر فكرة جريئة ذكرها عرابى بأنها « عبارة عن جمهورية مؤقتة الى أن تنقشع سحب المصائب المتكاثفة على مصر »[٥١] •

٩ — تحرير محاضر بعزل الخديو وتختيم الأهالى والعلماء عليها[٥٢] •

١٠ — قول محمود دسامى البارودى « ان الخديو لازم يأخذ شنته ويتوجه للوقاندة شبت[٥٣] فانه عزل »[٥٤] •

ومما سبق يتضح أن فكرة عزل الخديو ، واقامة الجمهورية كانت واردة ضمن أفكار العرابيين •

لقد كان قادة ومفكرو الثورة العرابية يكرهون من أعماق قلوبهم جميع أفراد الأسرة الحاكمة فالشيخ محمد عبده كان يعتقد أن هذه الأسرة قد أساءت لمصر اساءة شديدة وأنه من الخير التخلص منها ، وقد نصح زعماء الحزب العسكرى بضرورة الفتك بالخديو والتخلص

---

(٥٠) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٤١ تحت عنوان صورة القرار المعطى من الأمة المصرية بديوان الداخلية فى ٢٩ يوليو ١٨٨٢

(٥١) مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٠١ ، ص ٧٧ تحت عنوان : « وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية حصلت عليها من باريس » (فريدة مرعى) وعلق عليها د. أحمد عبد الرحيم مصطفى . وثيقة تحت عنوان رسالة من عرابى الى يعقوب صنوع •

(٥٢) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب أحمد عرابى •

(٥٣) يقصد لوكاندة شبرد •

(٥٤) اعترف أحمد رفعت فى محضر استجوابه بأن البارودى قال ذلك سليم النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ استجواب أحمد رفعت •

منه[٥٥] وقد سار على منوال الشيخ محمد عبده عبد الله النديم[٥٦] . أما عرابى فلم يكن يمدح من أسرة محمد على سوى سعيد باشا[٥٧] ، وكان يتحين الظروف المواتية لاعلان الجمهورية[٥٨] فصرح بما معناه « ان القوة فى يدنا والعلماء والأعيان ومشايخ العربان يعضدوننا ، ولا مندوحة للخديو عن اجابة طلبنا فان لم يفعل خلعناه وأقمنا حكومة جمهورية مستقلة[٥٩] .

ومع ذلك فالسؤال الذى يطرح نفسه هو هل كان غرض العرابيين الانفصال عن تركيا والاستقلال الفعلى واقامة نظام جمهورى بمعناه المعروف أم أن هدفهم كان الحصول على السلطة وادارة زمام الحكم فى ظل السيادة العثمانية أو خلع الخديو وتولية البرنس حليم مكانه[٦٠] ؟

---

(٥٥) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ١٩ دوسيه ٨٩ — استجواب سعيد البستانى المترجم بقلم المطبوعات .

(٥٦) يعقوب صنوع : أبو نظارة زرقاء — باريس فى ٣ فبراير ١٨٨٢

(٥٧) مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة . المجلد الثامن عشر — الجزء الأول مايو ١٩٥٦ مقال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان : « العقدة الشركسية » .

(٥٨) مجلة الهلال عدد مارس ١٩٧١ ، ص ٧٧ تحت عنوان وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية . رسالة من عرابى الى يعقوب صنوع .

(٥٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١١

(٦٠) البرنس حليم هو الأمير محمد بن عبد الحليم بن محمد على الكبير ، وكان بحسب فرمان الوراثة القديم احق بالعرش من الخديو توفيق لأنه اكبر لفراد الأسرة الحاكمة سنا ، ولكن بتبدل هذا النظام فى عهد اسماعيل بعد صدور فرمان ٢٧ مايو ١٨٦٦ اصبح العرش لتوفيق .

انظر : عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٩٦

ان الوثائق والمراجع التى بين أيدينا لم توضح شيئا بالنسبة للجزء الأول من السؤال ، وان كنا نرى أن فكرة العرابيين للتخلص من السيادة العثمانية فى ذلك الوقت لم تكن واردة فى اذهان الكثيرين منهم وان كان بعضهم يرى الاعتماد على السلطنة العثمانية لتحقيق أهدافهم الى أن يحين الوقت لاعلان الجمهورية[٦١] وقد أوضح يعقوب صنوع ذلك بقوله « تبين لى أيضا أن أفكار جمهور من الوطنيين خلع الأمة الحاكمة أعنى الخديو وقومه ، وجعل مصر حكومة جمهورية تجرى بمقتضى قانون الجمهوريات الحرة ، وتكون تحت سيادة الدولة العلية وتنزع عموم الأجانب من دوائر حكومتها وتستمر فى اصلاح شئونها »[٦٢] .

أما عن فكرة خلع الخديو توفيق واحلال البرنس حليم مكانه فقد كانت هناك اتصالات بخصوص ذلك حيث حاول البرنس حليم الاتصال بعرابى وبقواد آلايات الجيش عن طريق حسن موسى العقاد[٦٣] وكان حليم يحاول الحصول على « التماس من الأمة بخلع الخديو لعدم كفاءته » وفى سبيل ذلك حاول التقرب من العرابيين حتى يصل على اكتافهم الى الحكم وكان يروج له بين أوساطهم يعقوب صنوع وعبد السلام المويلحى حتى أصبحت مجالس الناس تفيض بهذا الحديث، ووصل الأمر بأن جاهر بعض الزعماء برغبتهم فى خلع الخديو وتعيين البرنس حليم مكانه[٦٤] غير أن عرابى لم يرتبط بأى صلات معه[٦٥] بل

---

(61) Blunt : Op. cit. P. 344.

(٦٢) أبو نظارة زرقاء فى فبراير ١٨٨٢

(٦٣) دار الوثائق . ملف ثابت باشا : محفظة ١٦٣ — برقية من الخديو الى ثابت باشا فى ٣ فبراير ١٨٨٢

(٦٤) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ص ٢٦٧

(٦٥) سليم خليل النقاش : المرجع السابق ، ج ٧ ص ٣٠ ، ١١٦ ، ١٣٤ — ١٣٧ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٨

أنه عندما تكلم البعض مع عرابى فى ذلك الموضوع « صرح غاضبا بأنه من الواجب التخلص من أسرة محمد على بأكملها »(٦٦) .

ولما كانت انجلترا تخشى أن يشرف المصريون على شئون بلادهم بأنفسهم ، ولما كانت كذلك تخشى على مصالحها المالية فقد أسرعت الى التدخل لمناصرة الخديو على العرابيين ، واستخدمت فى ذلك القوة العسكرية ، مما كان له أثره فى القضاء على الثورة العرابية ، وتغيير أحوال البلاد بحيث لم تعد سلطة الخديو مقيدة بالباب العالى بقدر ما هو مجرد ستار يحكم من ورائه الانجليز ، ففقد الخديو ما كان له من سلطات منحتها اياه الفرمانات العثمانية .

---

(٦٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤

obeikan.com